الباب السادس

منهج التربية النبوية في الحياء

الفصل الأول : النبيُّ الحييُّ الكريم

الفصل الثاني : تربيةُ الصحابةِ علىٰ مائدةِ الحياء

الفصل الثالث : حقيقةُ الحياء في حديثِ سيد الأنبياء

الفصل الأول

النبي الحييُّ الكريمُ

كان الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ أشدَّ الناسِ حياءً ، وأكثرَهم إغضاءً عن العورات ، لم يواجه أحداً بشيء يكرهه ، فقد روىٰ الشيخان ، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

ـ لقد كانَ الحياءُ سمةً بارزة في حياتهِ الشريفةِ ﷺ ، وفي تربيته لأصحابه ، حيث يعلّمهم أدب الحياء ، فكان إذا ما بدرَ من رجلٍ بادرة لا يذكرهُ باسمه ، وإنّما يوري بلفظ : « ما بال أقوام » ؛ فقد روىٰ أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجلٍ شيئاً لم يقل له : قلت كذا

وكذا ، قال : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا .

ـ وقالت عائشة أيضاً : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا سخاباً[1] بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

ـ وكان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس ، فقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : رأىٰ رسول الله ﷺ علىٰ وجهِ رجلٍ صفرة ، فقال : « لو أمرتم هذا أنْ يغسلَ هذه الصفرة » . وكان لا يكادُ يواجهُ أحداً في وجهه بشيء يكرهه أبداً .

ـ ووصف سهلُ بن سَعد ـ رضي الله عنه ـ حياء الحبيب الأعظم ﷺ ، وكرمه الممزوج بالحياء فقال : كان رسول الله ﷺ حيياً لا يُسأل عن شيء إلا أعطىٰ .

ـ وهذا يتوافقُ مع كلامه ﷺ : « الحياءُ منَ الإيمان »[2] .

---

(١) سخاباً : صياحاً .

(٢) رواه الشيخان .

و « الحياء لا يأتي إلا بخير »[1] .

ـ ووصفَ ربيبُ النبيِّ ﷺ هندُ بنُ أبي هالة ـ رضي الله عنه ـ حياءَ رسولِ الله ﷺ فقال : كان رسولُ الله ﷺ خافضَ الطّرفِ ، جُلّ نظرِهِ إلىٰ الأرض أكثر من نظرِهِ إلىٰ السماء ، جل نظره الملاحظة . ترىٰ ، هل كان رسولُ الله ﷺ يغضب ؟!

نعم ، كان الحبيب الأعظم ﷺ يغضب ، ويواجه بالحق إذا انتهكتْ حُرماتُ الشرعِ ، وينتصرُ لدين الله ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ما ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أنْ يجاهدَ في سبيلِ اللهِ ، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه ، إلا أنْ يُنتهكَ شيءٌ من محارمِ اللهِ تعالىٰ ، فينتقم لله تعالىٰ[2] .

ـ وكانَ ﷺ وهو أشدُّ النّاسِ حياءً يوجّه أصحابَه إذا بدرَ

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) أخرجه مسلم .

منهم شيء ؛ روىٰ البخاري في الأدب المفرد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : صنعَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً فرخّص فيه ، فتنزّه عنه قوم ، فبلغ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ فخطب ، فحمد الله تعالىٰ ، ثم قال : « ما بال أقوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إنّي لأعلمُهم بالله تعالىٰ ، وأشدّهم له خشيةً » .

ـ وهذا يشيرُ إلىٰ أن حياءَهُ ﷺ عن المواجهة فيما عدا ذلك مما تركهُ أفضل وأحسن ، أو فيما كان من حقٍّ نفسه تسامحاً وتغاضياً ، وأمّا حقُّ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وحقُّ العباد ، فلا .

* * *

الفصل الثاني

تربيةُ الصحابة علىٰ مائدةِ الحياءِ

الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ هو النبي المربّي المعلم ، الذي تخرجتْ أجيالُ الصحابةِ في مدرستهِ العظيمة ، فكانوا سادة القادة ، وقادة السادة ، في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ، وكلِّ زمانٍ ومكانٍ ، فقد بعثَ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ليتمم مكارمَ الأخلاق ، ومحاسنَ الأفعال ، فقد كانت حياتُه الشريفةُ حياةَ تربية وتعليم ، وتأديبٍ وتهذيبٍ ، وحسبنا دليلاً علىٰ ذلك أنَّه ﷺ أخرجَ الناس من الظلمات إلىٰ النور ، ومن أسوأ العاداتِ والعباداتِ والمعاملات إلىٰ أرقِّ العباد ، والمتّقين ، وأهلِ الحياءِ ، فكانوا علماء ، حلماء ، رحماء ، أخيار .

ـ ولعلَّ منْ مناهجِ التربيةِ النبويةِ العظيمةِ ، تربية الصحابةِ الأخيار علىٰ مائدة الحياء ، ليكونوا أعلام الهدىٰ ، ـ وقد

كانوا ـ فقد كانت تربيتهُ ﷺ في هذا المضمار فريدة ، ربّىٰ الكبار ، ولم يهملِ الصِّغار ، ربّىٰ النِّساء ، ولم ينسَ الصّغيرات ، كانتْ تربيتهُ شاملةً كاملةً استفاد منها مَنْ حوله ذكوراً وإناثاً ، شيباً وشباباً ، ألا ما أعظمَ هذه التربية!

ـ فقد كان ﷺ يوصي أصحابهُ بلزوم الحياء منَ الله والناس ، ويؤكد لهم أنَّ لزومَ الحياءِ ذروة الفضل ؛ يروىٰ عنْ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ وصّاه لما بعثه إلىٰ اليمنِ ، فقال : « استحي منَ اللهِ كما تستحي رجلاً ذا هيبةٍ منْ أهلك »[1] .

ـ وكان الصحابة بدورهم يسألونَ النبي ﷺ عن ألوانِ الحياءِ ، فقد سُئل النبي ﷺ عن كشفِ العورةِ خالياً ، فكان الهديُ النبوي في تعليمِ الرجل الحياء ، ولزومه هذه السمة سراً وعلانيةً فقال له : « الله أحقُّ أنْ يُستحيا منه »[2] .

---

(١) أخرجه البزار برقم (١٩٧٢) ؛ وانظر : مجمع الزوائد (٨/ ٢٣) .

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٧) ، والترمذي برقم (٢٧٦٩ و ٢٧٩٤) ، وحسّنه ، وابن ماجه برقم (١٩٢٠) .

ـ وفي حياةِ الصحابةِ الكرامِ صُورٌ منَ الحياءِ تدلُّ علىٰ التربية النبويةِ التي تعلموها منَ الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وفي هذا المجال يظهرُ سيدنا علي بن أبي طالب ليرسم صورةً رائعةً منْ صورِ الحياء ؛ ففي الصحيح عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : كنتُ رجلاً مذّاءً ، فأمرتُ رجلاً أنْ يسأل النبي ﷺ لمكان ابنته ، فسأل ، فقال : « توضأ واغسلْ ذكرك »[1] .

ـ وتمتدُّ يدُ الحياءِ لتطالَ صغارَ الصحابةِ وتمسح بجناحها قلوبهم الصغيرة والكبيرة التي عرفتْ فالتزمت .

ـ وفي هذا المجال نضربُ مثلاً بالصحابي ابن الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي نشأَ وتغذّىٰ رحيق الإيمان ، فكانت تصرفاتهُ موشاةً بالحياء ، فهو يحترمُ المجالسَ النبوية ، ولا يدلي دلوه إذا ما حدثت مسألة ، بل يلتزم الحياء وإن كان يعرفُ الإجابة .

---

(١) أخرجه البخاري في العلم برقم (١٣٢) ، وفي الغسل برقم (٢٦٩) .

ـ جاءَ في الصحيح عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنَّها مثلُ المسلم ، فحدّثوني ما هي ؟ »

فوقعَ النّاس في شجر البوادي .

قال عبدُ الله : ووقع في نفسي أنَّه النخلة ، فاستحييتُ ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله!

قال : « هي النخلة »[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري في العلم برقم (١٣١) .

الفصل الثالث

حقيقةُ الحياءِ في حديثِ سيد الأنبياء

في جامعه أخرج الترمذي ـ رحمه الله ـ بسندٍ رفعه إلىٰ الصّباح بن محمد عن مرّة الهمداني عن عبد اللهِ بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا منَ اللهِ حقَّ الحياء » .

قلنا : يا نبيَّ اللهِ إنا لنستحيي والحمد لله .

قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياءَ من اللهِ حقَّ الحياء أنْ تحفظَ الرأسَ وما وعىٰ ، وتحفظ البطن وما حوىٰ ، وتتذكر الموتَ والبِلىٰ ، ومَنْ أراد الآخرةَ ترك زينة الدنيا ، فمن فعلَ ذلك فقد استحيا من اللهِ حقَّ الحياء »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٥) ، انظر : تحفة الأحوذي =

ـ فالحياءُ هنا نوعان : حياءٌ ممدوح ، وحياءٌ مذموم .
فالممدوحُ مثل : أنْ يتركَ القبيحَ حياءً منَ اللهِ .

والمذموم مثل : أن يتركَ المطالبةَ بحقوقهِ ، أو يتركَ السُّؤال عن أمورِ دينه .

ـ وفي حديث أمِّنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ : رحمَ اللهُ

= بشرح جامع الترمذي (٧/ ١٥٤ و ١٥٥) وقال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث غريب إنّما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق ، عن الصبّاح بن محمد .
وقال الشارح : وفي إسناد الترمذي الصبّاح بن محمد ، وهو ضعيف .
قال العقيلي : في حديثه وهم ويرفع الموقوف .
وقال الذهبي في الميزان : رفع حديثين هما من قول عبد الله بن مسعود .
أما قوله ﷺ : « استحيوا منَ اللهِ حقّ الحياء » . أي : حياءً ثابتاً لازماً صادقاً ، وقيل : اتقوا الله حقّ تقاته .
وقوله البِلىٰ بكسر الباء ، من بلي الشيء إذا صار خلقاً متفتتاً ، يعني تتذكر صيرورتك في القبر عظاماً بالية .

نساءَ الأنصار ، ما منعهن الحياء أنْ يتفقهن في الدِّين . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

ـ وقوله ﷺ : « استحيوا من الله حقّ الحياء » هذا الأمر خرج عن صيغته الأصلية إلى الإرشاد ، وهذا من أبحاثِ البلاغةِ في قسمِ الإنشاء .

ـ وكما نرىٰ أنَّ في هذا الحديثِ الشريفِ قبساتٍ مضيئات وضيئات منْ أقباس النبوة الجميلة ، وأنوار من سواطعِ الإيمانِ العظيم ، أرشدنا إلىٰ التمثُّل بها نبيُّ الرحمةِ الرؤوف الرحيم الحيي الكريم ﷺ ، وذلك كيما نجعلها مناراً لنا وشعاراً في حياتنا الدُّنيا .

ـ فالحبيب الأعظم ﷺ يشيرُ إلىٰ الحياءِ ، ويرشدُ إليه ، ويضيء أمامنا الطريق ، ويأخذ بأيدينا إلىٰ مدارج العزّ والسّعادة ، فلا خيرَ في الإنسان إذا تعرىٰ عنِ الفضائل ، ولا قيمة له إذا فَقَدَ الحياء والأخلاق ، فالأمم الأخلاق ، والمجتمعات تُوزَنُ بها وبآدابها ، وإذا لم يكن عند المرء خلقٌ ولا أدب ولا حياء ، فلا خيرَ فيه ، وما أجمل قول أبي تمام في

هذا المضمار الجميل :

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحي فاصنعْ ما تشاءُ

فلا وَاللهِ ما في العيش خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحياءُ

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقىٰ العود ما بقي اللحاءُ

ـ فالحبيب الأعظمُ ﷺ يدعو أصحابه ، وأحبابه ، والناسَ جميعاً في هذا الحديث إلىٰ التخلق بخلق الحياء الكريم الذي هو من صفاتِ المؤمنِ الكامل ، ثم يرشدُهم إلىٰ حقيقةِ معنىٰ الحياءِ ، الحياء الذي يحبُّه الله عَزَّ وجَلَّ ، ويريده لعباده ، ويجنبه من التردي في مهاوي الزيغ والضلال .

ـ فليسَ المقصودُ من قوله : « استحيوا من الله حق الحياء » هو مجردُ التّظاهرِ بالحياء ، أو التخلّق به على الشّكل الذي تعارف عليه الناس ، وإنَّما الغرضُ أن يعرفَ المؤمنُ ويتعرّفَ حقيقةَ الحياء جوهراً وسلوكاً ، لأنَّ الحياءَ منبعثٌ منَ الإيمان .

ـ إنَّ الحياءَ الحقيقيَّ هو الذي يسمو بصاحبه نحو

الكمال ، ويرتفعُ به عن حضيض الآثام التي انغمسَ فيهِ كثيرٌ من النّاس ، حيثُ تقودُهم شهواتُهم إلىٰ مهاوي الرّدىٰ ، فلم يصونوا جوارحَهم ولا أعضاءَهم ، فلذلكَ أشارَ ونبّه الحبيبُ الأعظمُ ﷺ إلىٰ ذلك ؛ إلىٰ حفظِ الرأسِ وما فيه ، والبطنِ وما يحويه ، ثم ليتذكر الإنسانُ الموت والفناء والنّهاية .

ـ نعم ، فهذا هو الحياءُ الحقيقي ، وهذه هي حقيقة الحياء التي دعا ويدعو إليها سيّدُ أهلِ الحياء ورأسُهم ورئيسُهم حبيبنا محمد ﷺ .

ـ هذا هو الحياء في المنهج النبوي ، يحفظ الإنسان حواسّه ، يحفظ سمعه وبصره ولسانه ، فلا يسمعُ إلىٰ فحش ، أو هجر من القول ، ولا ينظرُ إلىٰ حرام أو محرم أو شهوة ، ولا يتكلّم بمنكر أو قبيح ، وكذلك يحفظ بطنه ، فلا يدخل إليه حراماً ، ويحفظ فرجَه فلا يرتكب فاحشةً أو يلوثُ شرفاً ، ويحفظ يديه ورجليه وسائر أعضائه وحواسّه فلا يمشي إلى رجس ، ولا يعتدي علىٰ إنسان .

ـ فإذا فعلَ المؤمنُ هذا كلّه ، يكون قد تحققَ معنىٰ

الحياء ، ويكونُ من أهلِ الحياءِ ، ويكون قد تخلّقَ بذلك الخلقِ الكريمِ الطّاهرِ الذي كانَ من خلقِ رسول الله ﷺ .

ـ فلنسرعْ إلىٰ الحياء ، ولنبادر إلىٰ تمثله ، فإنَّ الحياةَ السعيدة في الحياء .

* * *